



العلامة المجاهد

الشيخ محمد البشير الإبراهيمي

بقلم : ابن الريف [البخلاخي امحمد]

نواد ومدارس للتعليم في طول البلاد وعرضها ، وقد آتت هذه النوادي والمدارس أكلها وبناتج إيجابية فخرج منها على يد المصلح الجزائري الشيخ عبد الحميد بن باديس ، والشيخ محمد البشير الإبراهيمي وغيرهم من الأساتذة والمصلحين الآلاف من التلاميذ فكانوا هم قادة جبهة التحرير الوطني الذين أبلوا البلاء الحسن في ميدان الكفاح والتحرير . منهم من استشهد في سبيل الله وقضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا . ■■

■ ■ الحديث عن جهاد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي يجرنا للحديث عن نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذين كانوا مخلصين في أعمالهم كل الإخلاص ، يعملون بحماس ونزاهة وتفان لخدمة مصلحة الشعب الجزائري ، واستطاعوا رغم وجود الاستعمار الفرنسي في بلادهم وأرضهم التصدي لهذا الاستعمار ومحاربهته سرا وعلانية . وبث الروح الإسلامية في نفوس الجزائريين ، ونجحوا في تأسيس

● « كتاتيب » جمعية العلماء المسلمين برئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس في السهول والجبال والقرى والمدن هي التي حمت عربية الجزائر وإسلامها من الغزو الثقافي والاحتلال العسكري ●

السلطانية الأولى ، وبعد انتهاء الحرب عاد إلى الجزائر وعمل بالتدريس أيضاً .

قام في الجزائر مع الشيخ عبد الحميد بن باديس بوضع المخطط لمحاربة الاستعمار الفرنسي في الجزائر ، وإنشاء جمعية علماء الجزائر سنة ١٩٣١م في الجزائر العاصمة ، وكان يهدف بها إلى إحياء تعاليم الإسلام الصحيح ، وإحياء اللغة العربية . كان خطيباً مفوهاً ، يتحدث ببلاغة وصراحة وجراة ، وكان مجاهداً صاحب همة لا تعرف الملل ، وعالمًا لا يخشى في الحق لومة لائم ، كان يحفظ من عيون الشعر والأدب الأندلسي والمغربي ، ويلقي أمهات القصائد عن ظهر قلب ، وكان عالمًا في مصطلح الحديث والفقه والنحو والصرف والمنطق والأصول وغيرها من العلوم .

وأثناء إقامته في القاهرة قبل سفره إلى الجزائر كان يخطب ويكتب ويدي بالآحاديث الصحفية ، ويشرح القضية الجزائرية إثر قيام ثورتها التي كللت بالنصر ، وظل يتتبع تطورات الثورة دائماً ، وعلى اتصال مستمر بالجهاديين البارزين في القاهرة . اعتبره المفكرون أحد القلائل الذين مهدوا للثورة المسلحة في الجزائر بثورة فكرية ، فقد كان يكتب مقالاته وأبحاثه التي يدعو فيها إلى الجهاد والليقظة وإحياء الإسلام في جريدة (البصائر) ، وقد مدَّ الله في عمره وأدرك استقلال بلاده ، ولم يصمت وواصل جهاده من أجل إرساء قواعد الإسلام والحرية في بلاده .

لم يكن الشيخ محمد البشير الإبراهيمي إقليمياً يناضل من أجل حرية واستقلال بلاده الجزائر فقط ، إنما كان شخصية إسلامية معروفة في العالم الإسلامي والعربي بجهاده وكفاحه من أجل قضايا العرب والإسلام .

نادى الشيخ البشير الإبراهيمي بحسن الجوار بين بلدان المغرب العربي ، ودعا إلى عروبة الشمال الإفريقي ، ودافع عن قضية فلسطين السليبية ، وعن قضية حسن الجوار يقول :

« ودين الله يوجب حقوق الأخوة ويدعو إلى إيثار الجار والإحسان إليه ، وهو بهذا يعمم التناصر ويقم في الأرض سرعة التعاون ، فما من جار إلّا له جار ، والناس كلهم متجاورون جوار الدار للدار ، القرية للقرية . فجوار المدينة للمدينة ، فجوار الوطن للوطن ، فإذا أخذوا بهذه الشريعة وأقاموا حدودها : تم التناصر والتعاون وسدت المنافذ على

وها نحن إيماناً منا بجهاد علماء الجزائر نلقي الأضواء على علم من أعلام الجزائر في القرن العشرين . وبطل من أبطال الإسلام الشيخ محمد البشير الإبراهيمي مؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين نستعرض جهاده وأفكاره الإسلامية وتصريحاته ، فإنه كان عالماً ومجاهداً مخلصاً وداعية إسلامياً ، كلت جهوده بتحرير الجزائر وعاش بعد الاستقلال .

ترجمة حياته . . .

ولد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في قسنطينة بالجزائر عام ١٣٠٦ هجرية كما يقول عند طلوع الشمس من يوم الخميس الثالث عشر من شهر شوال ويوافق سنة ١٨٨٩ ميلادية .

نسبه . . .

وهو سليل قبيلة أولاد إبراهيم بن يحيى بن مساهل التي يرتفع نسبها إلى إدريس بن عبد الله الجد الأول للأشراف الإدراسة ، ويدعى إدريس الأكبر مؤسس دولة الإدراسة في المغرب الأقصى ، وترجع إليه أنساب الأشراف الحسنيين في المغربين الأقصى والأوسط .

دراسته . . .

اتجه إلى الدراسة الدينية ، وكان يتمتع بحافظة عجيبة وذاكرة قوية ، وقد أكمل حفظ القرآن وهو في سن التاسعة ، كما تفقه وهو في هذا السن في قواعد النحو والفقه والبلاغة .

عندما بلغ سن العشرين هاجر إلى المدينة المنورة سنة ١٩١١م ملتحقاً بوالده الذي كان قد سبقه إلى هناك ، وتمر البشير بالقاهرة ومكث فيها ثلاثة أشهر كان يتردد أثناءها على الدرس بالأزهر الشريف .

سافر بعد ذلك إلى المدينة المنورة ، وفيها درس على أيدي مشايخ الحرم النبوي الشريف ، وكان يقوم بتدريس الفقه واللغة والأدب .

وعند قيام الحرب العالمية الأولى استوطن مع والده دمشق ، بعد أن أرغمته الدولة العثمانية على الخروج من المدينة .. وهناك اشتغل بالتعليم الحر ، ثم عين أستاذاً للأدب العربية في المدرسة



تعلمها ، فكيف إذا اجتمعا ؟ حق من حيث إنها لغة دين الأمة بحكم أن الأمة مسلمة ، وحق من حيث إنها لغة جنسها بحكم أن الأمة عربية الجنس ، ففي المحافظة عليها محافظة على جنسية ودين معاً ، ومن هنا نشأ ما نراه من حرص متاصل في هذه الأمة على تعلم العربية ، وما نشهده من مطالبات اجتماعية بحرية تعليمها ... وما نراه من سخط عميق على القوانين التي تعرقل تعليمها ، وذلك كله لأنها مفتاح الدين أو جزء من الدين . .

أمير البيان . . .

أما قيمة الشيخ البشير الأدبية فإنه استطاع بتضلعه في علم البيان والنحو والصرف واللغة ، أن يكون أميراً للبيان في العالم العربي والإسلامي دون منازع ، فإنه ببيانه الساحر فاق أمير البيان شكيب أرسلان ، قال فيه الفيلسوف الأستاذ منصور فهمي استاذ طه حسين وزكي مبارك حينما استمع إلى محاضراته :

« إن هذا المنبر الذي يقف فيه الشيخ ساحة مقدسة ينبغي أن يدخلها الناس كما يدخلون الحرم ، وقال : إنه لم



● (شكيب أرسلان) :
شاركه الشيخ الإبراهيمي
● إمارة البيان

المغربين وعلى المفسدين في الأرض ، ولكن الاستعمار بهذه السياسة بدل شرعة الله بشرعة الشيطان ، فهو يقول لك : أقصر اهتمامك على دارك ولا تلتفت إلى جارك .

عروبة الشمال الأفريقي . .

وعن عروبة الشمال الأفريقي يقول :
« عروبة الشمال الأفريقي بجميع أجزائه طبيعية كيفما كانت الأصول التي انحدرت منها الدماء ، والنباتات التي انفجرت منها الأخلاق ، والخصائص والنواحي التي جاءت منها العادات والتقاليد ، وهي أثبت أساساً وأقدم عمراً ، وأصفى عنصراً من انكليزية الإنكليز ، والمانية الألمان ، هذه العروبة الأصيلة العريقة في هذا الوطن هي التي صيرته وطناً واحداً لم تفرقه إلا السياسة ، سياسة الخلاف في عصوره الوسطى ، وسياسة الاستعمار في عهده الأخير . .

دفاعه عن قضية فلسطين

كما دافع بقلمه وبمقالاته وأبحاثه التي كان ينشرها في الصحف العربية ولا سيما في جريدته (البصائر) عن فلسطين السليبة ، التي اعتبر ضياعها راجعاً إلى تهاون المسلمين وتخاذلهم في الدفاع عن حوزتها ، والذود عنها وفي هذا يقول :
« ما أضع فلسطين إلا العرب وقد جاءتهم النذر فتمازروا بها ، ثم حق الأمر وهم غارون فاندمشوا ، ثم وقعت الواقعة فابلسوا ، وعمد خطبائهم إلى الخطب ينمقونها ، وشعراؤهم إلى القصائد يزوقونها ، وساساتهم إلى الدعائى يلفقونها ، وعامتهم إلى الخرافات يصدقونها ، بينما عمد ملوكهم إلى الأمداد يعوقونها ، وإلى الأهواء ينفقونها ، وعمد خصومهم اليهود إلى الغايات يحققونها ، وإلى العهود يمزقونها ، وقضى الأمر وأوسعناهم سباً ، وراحوا بالإبل . .

رائد التعريب في الجزائر

أما جهاده من أجل إحلال اللغة العربية محل اللغة الفرنسية ، فإنه دعا الأمة الجزائرية طوال حياته إلى تحقيق هذا الهدف الأسمى وقال :

« اللغة العربية هي لغة الإسلام الرسمية ، ولهذه اللغة على الأمة الجزائرية حقان أكيدان ، كل منهما يقضي وجوب



● الشيخ عبد الحميد بن باديس :

كان تصويبه لعلم الأثر والتأكيد على تعلم لغة القرآن حماية لغوية وإسلام الشعب الجزائري

كم قد فدى الأسرى فبات في الأسر
لهفي على هاو على شفا العمر
قد تله غاو فخر للصدر
لهفي على مرضع قد عفرت أمه

تأليفه ...

ترك الشيخ البشير مصنفات كثيرة في شتى العلوم جلها لا يزال مخطوطاً لم يطبع وهي :

- كاهنة اوراس .
- رسالة الضب .
- بقايا فصيح العربية في اللهجة العامية بالجزائر .
- النقائبات والنفايات في لغة العرب .
- اسرار الضمان العربية .
- التسمية بالمصدر .
- الصفات التي جاءت على وزن فعل .
- نظام العربية في موازين كلماتها .
- الإطراء والشذوذ في العربية .
- ما أخذت به كتب الأمثال من الأمثال السائرة .
- حكمة مشروعية الزكاة في الإسلام .
- شعب الإيمان .
- بعض المحاضرات والابحاث والفتاوى التي جمعها عنه بعض تلاميذه .
- ملحمة رجزية في (٣٦٠٠) بيت من الرجز السلس اللزومي حول تاريخ الإسلام والمجتمع الجزائري .
- عيون البصائر (مجلد ضخمة) .

وفاة الشيخ البشير الإبراهيمي

وفي يوم ١٩ مايو ١٩٦٥م يلتحق بالرفيق الأعلى ويستجيب لنداء ربه ، وينعاه العالم الإسلامي والعربي ، رحمه الله وأحسن مثواه .

يسمع أو ير في حياته من هو أفصح أو أبلغ من الشيخ البشير ، ودعا جميع العلماء والأدباء في الوطن العربي إلى أن يلقوا إليه مقاليد اللغة والبيان ، ثم خاطب الشيخ قائلاً : أنت ملك العربية لهذا العصر .. ملكت نواصيها ونواصينا « وبعد ذلك أعلن الأستاذ كامل كيلاني المنبايعه » .

شعره ...

كما ان البشير كان شاعراً فحلاً من أكبر شعراء زمانه ، ومن شعره قوله يصف قلمه :

وي قلم أليت إلا أمده
بقتل هوار أو بختل موارب
جرى سابقاً في الحق ظمأن عانفاً
لامواه دنياه الشرار الزغارب
يسدده عقل رسا فوق ريوه
من العمر رؤاها معين التجارب
إذا ما البراع الحرص صريره
نجا الباطل الجاري بهجة مارب
وعن الإسلام يقول :

قد امنوا - إلا بحق - سيفك
ولمعة من صارم يسئل
والأرض ما احوج لدرء الغيث
منها إلى جلب الحيا والغيث
ما سئل سيفك إلا لبدى
لو لم يجره الناس ظل مغدأ
وفي الذكريات يقول :

ذكراك يا يوم
إذ أقبل القوم
يا يوم لم تشرق
إلا الضحى مغرق
ذكراك يا يوم
تعتاد في النوم
ربع الحما فيك
لم يصف عافيك
فيك اعترت له
فقتلوا أمه
سأقت لهم نصراً
تحرز في الاحشا
وحش تلا وحشا
شمس على مثلك
والملتجى مهلك
لا تأتي حوما
فتطرد النوما
والأهل في غفلة
طفلاً ولا طفلة
رهطاً من الشمس
أحيتهم أمس
جازوه بالكسر